رواية الشعر الجاهلى

الأصل التاريخى للرواية :

قد استبان لنا بجلاء ووضوح تامين أن العرب فى الجاهلية عرفوا القراءة والكتابة ، بيد أنها لم تكن شائعة أو منتشرة فيما بينهم ، والدليل على ذلك أن الأستاذ (محمد فريد وجدى) حصر عدد القارئين الكائنين فى الجزيرة كلها بما لا يزيد عن تسعة عشر ، منهم اثنان أو ثلاثة فى مكة[1] .

لهذا السبب لم يستخدم الكتابة فى تدوين الشعر الجاهلى ، ولو أنهم فعلوا ذلك لوجدنا من يسجل ذلك فى شعره ، كما ذكروا الكتابة وأدواتها .

وذلك مثل قول الشاعر امرئ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمان[2]

ومثل قول (المرقش الأكبر) :

الدار قفر والرسوم كما رقش العنوان فى الرق كاتب[3]

ولذلك يقول الرافعى : (كان العرب أمة أمية لا يقرأون إلا ما تخطه الطبيعة ، ولا يكتبون إلا ما يلقنون من معانيها فيأخذون عنها بالحس ويكتبون باللسان فى لوح الحافظة فكان كل عربى على مقدار وعيه وحفظه كتابًا ، أو جزءاً من كتاب ، وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمنى فى إحصاء الأخبار والآثار)[4] .

---

(١) نقد الشعر الجاهلى الأستاذ محمد فريد وجدى ، ص٦٨ .

(٢) الديوان ، ص٨٥ .

(٣) الديوان .

(٤) تاريخ آداب العرب للرافعى ، جـ١ ، ص٢٧ ط دار الكتاب العربى ، لبنان .

ولقد رأينا كثيراً من الباحثين يزعمون أن الأصل فى حفظ العرب كونهم قومًا بادين، وأن قلة مرافق الحياة التى فى أيديهم كانت هى الباعث لهم على التوسع فى الحفظ والمران عليه ، وهو رأى لا يستقيم على النظر ولا يصح عند التحقيق لأن أقوامًا غير العرب قد تبدوا فى عصور مختلفة ، ولم يؤثر عنهم من نوادر الحفظ وفنونه ما أثر عن هؤلاء ، ولكن الصحيح أن العرب قوم معنيون ولم يجر من الأحكام النفسية على أمة من الأمم ما جرى عليهم ولهذا لابد لهم من الحوافظ القوية فى أصل الخلقة والتركيب الطبيعى ، وإلا اختل تركيبهم الطبيعى[1] .

ولقد كان اعتمادهم فى تسجيل الشعر الجاهلى على الحفظ حيث لم تكن الكتابة فاشية فيهم كما أومأنا إلى ذلك آنفًا ، ولو أن الكتابة كانت فاشية فيهم ما عدلوا إليها ولا استغنوا بها عن الحفظ ، ومن هنا نشأت طبقة النسابيين وهم رواة الجاهلية وعلماؤها، ومن أشهرهم (دغفل بن حنظلة) ، و (عبيد بن ثرية الجرهمى) و (ابن الكيس النميرى) و (ابن لسان الحمرة) وغيرهم[2] .

فلما جاء الإسلام ، وكان مرجع الأحكام فيه إلى الكتابات والسنة كان الصحابة يأخذون عن رسول الله ﷺ أخذًا علميًا ليتفقهوا فى الدين ، وليكونوا فى جهة القصد من أمرهم اختياراً للصواب وصداً عن الخطأ ، فكانت مجالسه عليه السلام هى الحلقات العلمية الأولى التى عرفت فى سلسلة التاريخ العربى كله . فالنبى ﷺ أول عن علم وأول من صدرت عنه الرسائل التى تشبه المؤلفات العلمية ، وذلك مثل رسالة الزكاة التى أملاها ، وكانت عند أبى بكر رضى الله عنه[3] .

فلما قبض ﷺ بدأ من بعده علم الرواية ، ووضع أبو بكر رضى الله عنه أول شروط هذا العلم ، وهو شرط الإسناد الصحيح ، فكان لا يقبل من أحد إلا بشهادة على سماعه من الرسول ﷺ وقال الإمام على رضى الله عنه : (كنت إذا سمعت من رسول

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ، جـ١ ، ص٢٧ ط دار الكتاب العربى ، لبنان ، بتصرف .
(٢) ذاته .
(٣) ذاته ، ص٢٢٤ .

الله ﷺ حديثًا نفعنى الله بما شاء منه ، وإذا حدثنى عنه محدث استحلفته فإن حلف لى صدقته)[1] .

ويفهم من هذا الكلام أن الشهادة أو الحلف على السماع من رسول الله عليه السلام فى وزن العدالة والضبط ، وكل ما تقوم به صحة الإسناد والسبب فى ذلك أن الناس قريبو عهد برسول الله ﷺ وبالصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، فما تزال العقائد صحيحة ، والنيات سليمة ، والإيمان فى أوج عظمته وقوته ، والقلوب مملوءة بالإيمان والخشية من الله سبحانه وتعالى . لذا كان يكتفى بالشهادة على السماع أو الحلف[2] .

ثم كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول من سن للمحدثين التثبت فى النقل ، إذ كانت طائفة قد مردت على النفاق بالإضافة إلى انفساح الوقت وطول المدة ، وتقادم العهد بصاحب الرسالة عليه السلام ، كما كان عمر وعثمان والسيدة الفضلى (عائشة) بنت أبى بكر وجلة من الصحابة رضى الله عنهم يتصفحون الأحاديث ، ويكذبون بعض الروايات التى تأتى ويردونها على أصحابها ، وكان عمر شديداً على من أكثر منها أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، ولذا كان بعض الصحابة يقل الرواية كأبى بكر والزبير وأبى عبيدة والعباس بن عبد المطلب وكان أكثر الصحابة رواية (أبو هريرة) رضى الله عنه وقد صحب ثلاث سنين ، وعمر بعد الرسول عليه السلام نحواً من خمسين سنة حيث توفى سنة تسع وخمسين من الهجرة ولهذا كان عمر وعثمان وعلى وعائشة رضى الله عنهم ينكرون عليه ، ويتهمونه وهو أول راوية اتهم فى الإسلام .

واستمر الحديث بعد الطبقة التى كان منها صغار الصحابة وكبار التابعين كطبقة ابن عباس حتى كانت خلافة « عمر بن عبد العزيز » سنة تسع وتسعين للهجرة ، فرأى أن الحديث متعلق بأفراد الرجال وقد أسرع الموت فيهم ، وقد فشت فى زمنه أشياء مما يتعمد فيه الكذب فخشى عمر عاقبة ذلك فكتب إلى أبى بكر (ابن حزم) نائبه فى الإمرة والقضاء على المدينة ، أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت دروس العلم[1] وذهاب العلماء .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ، جـ١ ، ص٢٧ ط دار الكتاب العربى ، لبنان .

(٢) ذاته بتصرف . (٣) دروس العلم : من درس بمعنى امحى وذهب أثره .

وكان هذا أول البدء فى تدوين الحديث وجمعه[1] .

ثم أمر عمر بن عبد العزيز (محمد بن مسلم الزهرى) فدون الحديث تدوينًا مراعيًا فيه شروط الرواية الصحيحة ، وظل الأمر كذلك إلى أن انتهى إلى كبار الطبقة الثالثة ، وصنف الإمام (مالك بن أنس) ، (الموطأ) بالمدينة ، كما دون غيره من العلماء الكتب الكبيرة فى الحديث مثل (عبد الملك بن جريج) بمكة ، والأوزاعى بالشام ، و (سفيان الثورى) بالكوفة ، و (حماد ابن سلمة) بالبصرة ، ثم شاع التدوين بعد هؤلاء فيمن تلاهم من الأئمة .

وبعد أن دونت أوائل الكتب ورأوا ما دخل على الحديث من الشبه والتأويلات ، وما هجن من التزيد والاختلاق ، صار لابد من حياطة الصحيح منه بأسماء الذين صح نقله عنهم ، وصح نقلهم عن رسول الله ﷺ ، وهذا هو الإسناد[2] .

الإسناد فى الرواية الأدبية :

بين الحديث والأدب :

لقد أومأنا آنفًا إلى الإسناد فى رواية الحديث النبوى ، وقد أشار أكثر الدارسين الذين أرخوا للأدب العربى إلى العلاقة فى الإسناد بين رواية الحديث النبوى ، والرواية الأدبية ، وقد ذهبوا إلى أن رواة الأدب قد تأثروا برواة الحديث فى طريقة الإسناد ، ونسجوا على منوالهم وحذوا حذوهم واتبعوا سنتهم .

يقول الرافعى : (ولقد جرت العرب فى إسلامها على مثل عادتها فى جاهليتها ، لأن الإسلام لم يهدم مما قبله إلا ما كان شركًا ، أو داعية إلى الشرك ، فاستمرت الرواية للشعر والخبر والنسب والأيام والمقامات ونحوها مما أثروه عن أسلافهم فى أعقاب الجاهلية ، بل توسعوا فى بعض هذه الفنون أول عهدهم بالإسلام لمعالجة الحجة فى الرد على شعراء المشركين ممن كانوا يهاجمون النبى ﷺ)[3] .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ، ص٢٧٧ ط دار الكتاب العربى ، لبنان بتصرف .
(٢) ذاته ، ص٢٧٩ .
(٣) ذاته ، ص٢٨١ .

ويقول الدكتور ناصر الدين الأسد : (إن الرواية الأدبية أصل قائم لذاته ، وقد وجدت عند العرب منذ الجاهلية ، فكان علماء النسب الجاهليون ومن أدرك منهم الإسلام يأخذون علمهم بالنسب عن شيوخ هذا العلم ممن تقدمهم أو عاصرهم وكذلك كان رواة الشعر والأخبار الجاهلية)[1] وربما كان أوضح ما يمثل تلقى الشعر وأخذه ما يروى من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه تمثل بشعر ثم قال لفرات بن زيد الليثى : زتدرى من يقوله ؟ فقال (فرات بن زيد الليثى) لا أدرى يا أمير المؤمنين : قال عمر هذا شعر أخيك (قسامة بن زيد) قال : ما علمته ، قال : بلى هو أنشدنيه وعنه أخذته[2] .

وتلك سبل طبيعية فى كل عصر ولدى كل أمة حين تنتشر الكتابة وتصبح ظاهرة شائعة ، بيد أن رواية الحديث النبوى كانت أمرًا طارئًا على العرب بعد الإسلام ، فإن لم تكن رواية الحديث من حيث الطور الزمنى متأثرة برواية الأدب ، وفرعًا عنها فالروايتان أصلاً انبثقتا عن الحاجة الملحة انبثاقًا طبيعيًا[3] .

ونحن إلى هذا الرأى أكثر اطمئنانًا فمما لا ريب فيه أن رواة الحديث النبوى عرفوا أن الشعر الجاهلى وصلهم عن طريق الرواية ، وأن الكتابة لم تأخذ شكل الظاهرة يومذاك ، كما أنه غير كاف أن لكل شاعر راوية كما سنوضح ذلك فى الصفحات التالية ، إذًا فلا غرو أن تكون رواية الحديث منبثقة عن رواية الأدب ، والداعى إلى ذلك الضرورة والحاجة الملحة ، ناهيك بالشعراء الجاهليين الذين اعتنقوا الإسلام دينًا كحسان ولبيد العامرى ممن كان لهم دربة ومران وعلم بالرواية والرواة .

ويستطرد الرافعى قائلاً : (ثم كان أول ما كتب فى الأدب صحيفة أبى الأسود الدؤلى) المتوفى سنة تسع وستين وقيل إنه توفى فى خلافة (عمر بن عبد العزيز) بين سنة تسع وتسعين ، وسنة واحد ومائة عن خمسة وثمانين عامًا ، وهى المعروفة لدى النحاة بتعليقة أبى الأسود[4] .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ص٢٥٥ ، ط دار المعارف بمصر .

(٢) الإصابة فى أخبار الصحابة ٥/ ٢١٦ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلى ، ص٢٥٦ بتصرف .

(٤) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/ ٢٨٣ .

ويقول الدكتور (سعد ظلام) ففى العصر الجاهلى قام الشعراء أنفسهم بدور مهم فى مجال الرواية حتى جعلوا الرواية وحفظ الشعر واستظهاره مدرسة يتعلم فيها الشعراء المبتدئون فن الشعر بإشراف أستاذ معلم خبير ، وكان على من يريد أن يتعلم الشعر أو يكون شاعراً أن يلزم شاعراً كبيراً من الشعراء المشهود لهم والمعترف بمنزلتهم ومكانتهم ، وكل جيل يعلم جيلاً آخر فكانت مدرسة (أوس بن حجر) والتى تخرج فيها (زهير) وكان (كعب) و (الحطيئة) تلميذين صغيرين فى مدرسة (زهير بن أبى سلمى المزنى) وروايتين لشعره وكان (هدبة بن الخشرم العذرى) راوية للحطيئة ، و(جميل بثينة) راوية (هدبه) و (كثير عزة) راوية (جميل) .

ويتزايد دور الرواية أهمية بعد موت الشاعر ، إذ كانت المهمة مضاعفة فبجانب الرواية عليه أن يقوم بجمع شعره والحفاظ عليه ، وقد كان للقبيلة دور خطير فى رواية الشعر ، ولكنه مختلف عن دور الراوية حيث كان دورهم مقصوراً على رواية ما يسجل مآثرهم ، ويخلد أمجادهم ، أى أنهم يحفظون ما يرفع قدرهم ، ويعلى منزلتهم .

لذا كانت الرواية مختلفة عن رواية الأفراد من الشعراء والرواة ، أما الشعراء الصعاليك فكان لهم طابع متميز حيث إنهم يروون لبعض ، ويحفظ بعضهم لبعض ويروى بعضهم عن بعض . وكان هناك رواة للشعر الجاهلى بوجه عام غير مختصين بشاعر معين ، ولا بقبيلة معينة ، بل كانوا يروون الشعر ويتناقلونه عن كل الشعراء والقبائل بوصفه تاريخًا صادقًا لحيواتهم ، وسجلاً يخلد مآثرهم ، وأنسابهم ، وأخبارهم وأيامهم .

والرواية مختلفة بالنسبة لكل واحد من الرواة حسب عاطفته وميوله وما يتعشقه من الأغراض ، فالحماسى يحفظ شعر الحماسة تاركًا ما عداه والغزل أو المحب الولهان ، والعاشق المتيم ، تواق بطبعه لحفظ ورواية شعر الغزل لأنه يوافق طبعه وهواه ويحكى حاله ، وهناك من يعنى بشعر الأخبار والأيام والأنساب ، وذلك أحدث لونًا آخر من ألوان الرواية .

وبعد ظهور الإسلام خفت صوت الرواية وتوقفت رواية الشعر الجاهلى ، لما يحمله من مباذل وقيم لا تتفق مع قيم الإسلام ومبادئه ، ولعدم مواكبته للمجتمع الإسلامى الجديد إلى جانب انشغال العرب بالفتوحات .

قال ابن عون عن ابن سيرين قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره[1] .

واطرد سير الرواية فى العصر الإسلامى فلم يعق مجراه عائق إذ كان الرسول ﷺ يستعذب بعض الشعر ، وكثيراً ما يستنشد الصحابة الشعر ، ولو كان شعر أعدائه (كأمية ابن أبى الصلت) كما يقول : (الشريد بن سويد الثقفى) استنشدنى النبى عليه السلام شعر (أمية بن أبى الصلت) فأنشدته ، وهو يقول : هيه ، هيه ، حتى بلغت مائة قافية[2] .

كما أن رسول الله عليه السلام استنشد أبا بكر رضى الله عنه شعر (حسان بن ثابت) يوم فتح مكة ، وقد دخلها من (كداء) وكان (حسان) قد هجا أبا سفيان وبشر النبى ﷺ بفتح مكة ، وأنه سيدخلها من هذا المكان ، فلما تحقق له ذلك قال عليه السلام لأبى بكر رضى الله عنه أنشدنى بعض أبيات (حسان) ويعنى قوله :

عدمنا خيلنا إن لم تروها نثير النقع موعدها كداء[3]

---

(١) طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين لأبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى البصرى المتوفى عام ٢٣٣هـ ، ص١٦ ، المطبعة المحمودية التجارية الكبرى .

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ، ص١٧ ط ، دار الباز بمكة المكرمة .

(٣) الديوان .

كما أن رسول الله عليه السلام استمع إلى قصيدة (كعب بن زهير) التى أنشأها فى المسجد وكافأة عليها بعباءة أراد معاوية أن يشتريها منه فتأبى عليه ذلك واشتراها من ورثته بعد موته بثلاثة آلاف درهم وهى التى يقول فى مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبـــول[1]

يقول ابن سلام : (قدم كعب متنكراً حين بلغه عن النبى ما بلغه فأتى أبا بكر ، فلما صلى الصبح أتى به وهو متلثم بعمامته فقال يا رسول الله رجل يبايعك على الإسلام وبسط يده وحسر عن وجهه ، وقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله مكان العائذ بك أنا كعب ابن زهير فتهجمته الأنصار وغلظت عليه لما ذكر به رسول الله ولانت له قريش وأحبوا إسلامه وإيمانه فأمنه رسول الله ﷺ فأنشد مدحته التى يقول فيها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبـــول

فكساه النبى ﷺ بردة اشتراها معاوية من (آل كعب ابن زهير) بمال كثير قد سمى ، فهى البردة التى تلبسها الخلفاء فى العيدين[2] .

وذلك دليل على استحسانه ﷺ لشعر (كعب) حتى كافأه عليه وكذلك كان الصحابة يتناشدون أشعار الجاهلية وأخبارها قال (جابر بن سمرة) جالست رسول الله ﷺ أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الأشعار بالمسجد وأشياء من أمر الجاهلية فربما تبسم رسول الله ﷺ[3] .

وكان أبو بكر رضى الله عنه نساجة راوية للشعر الجاهلى وكثيراً ما كان يتمثل به فى خطبه ، وليس أدل على ذلك من قول الرسول عليه السلام للشاعر (حسان بن ثابت) عندما قال له كيف نهجوهم يعنى قريشًا وأنا منهم ؟ فقال حسان : (يا رسول الله إنى أسل منهم كما تسل الشعرة من العجين) فقال عليه السلام : عليك بأبى بكر فإنه أعلم الناس

(١) الديوان .

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام ط المطبعة المحمودية التجارية الكبرى بمصر ، ص٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ، والمزهر للسيوطى .

بأنساب العرب . يقول الجاحظ : (وكان أبو بكر رحمه الله أنسب هذه الأمة ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ثم محمد بن سعيد بن المسيب)[1] .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[2]، وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عالمًا بالشعر متذوقًا له ومناظرته لنافع ابن الأزرق شهيرة معروفة وهو الذى يقول : (الشعر ديوان العرب فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه) ثم أخرج عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال : إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب[3] يقول نافع لابن عباس : أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ قال : العزون حلق الرفاق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك . قال : نعم أما سمعت (عبيد بن الأبرص) وهو يقول :

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينًا[4]

قال : فأخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ قال : الوسيلة الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت عنترة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلى وتخضبى[5]

قال : أخبرنى عن قوله : ﴿ **وريشا** ﴾ قال : الريش (المال) قال : وهل تعرف العرب ذلك ، قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

فرشنى بخير طال ما قد يرينى وخير الموالى من يريش ولا يبرى[6]

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ، جـ١ ، ص٣١٨ ، تحقيق وشرح الشيخ عبد السلام هارون ، ط الخامسة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م نشر مكتبة الخانجى ، القاهرة .

(٢) طبقات ابن سلام .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ١ ، ص٢٠٦ ط الجهاز المركزى ، سنة ١٣٩٧ .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، جـ٩ ، ص٢٠٦ ط الجهاز المركزى للكتب الجامعية ، سنة ١٩٩٧م .

(٥) ذاته ، ص٢٠٧ .

(٦) ذاته .

قال أخبرنى من قوله تعالى ﴿ وفومها ﴾ قال (الحنطة) قال وهل تعرف العرب ذلك، قال نعم ، أما سمعت قول أبى محجن الثقفى :

قد كنت أحسبنى كأغنى واحد قدم المدينة عن زراعة قوم[1]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾ قال : اتساقه اجتماعه قال ، وهل تعرف العرب ذلك ، قال نعم ، أما سمعت قول طرفة ابن العبد :

وإن لنا قلائصًا تعانقًا مستوثقات لم يجدن سائقًا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى ﴿ بالبأساء والضراء ﴾ قال : البأساء : الخصب ، والضراء : الجدب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك . قال نعم أما سمعت قول زيد ابن عمرو :

إن الإله عزيز واسع حكم بكفه الضر والبأساء والنعم[2]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى ﴿ وأكدى ﴾ قال : كده بمنه قال : وهل تعرف العرب ذلك ، قال نعم . أما سمعت قول الشاعر :

أعطى قليلاً ثم أكدى بمنه ومن ينشر المعروف فى الناس يحمد[3]

وقال : أخبرنى عن قوله تعالى ﴿ مخمصة ﴾ قال (مجاعة) أما سمعت قول الأعشى[4] .

تبيتون فى المشتاء ملأى بطونكم وجاراتكم سغب يبتن خمائصًا

وسئل ابن عباس عن قوله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ قال تقول العرب للرجل إذا وقع فى أمر عظيم فظيع يحتاج إلى الجد ومقاساة الشدة « شمر عن ساقك » فهو تعبير عربى أصيل ، أما سمعتم القائل :

سن لنا قومك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، جـ٩ ، ص٢١٠ ط الجهاز المركزى للكتب الجامعية ، سنة ١٩٩٧م .
(٢) ذاته ، ص٢١٢ .
(٣) ذاته ، ص٢١٤ .
(٤) ذاته ، ص٢٢٧ .

وأنشد أبو عبيدة :

فإن شمرت لك عن ساقها فدقهـا ربيـع ولا تسـأم

وقال جرير :

ألا رب ساهى الطرف من آل مـازن إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

على هذا الأساس فهم ابن عباس - وهو ترجمان القرآن - الآيات ، وتبعه العلماء من الصحابة والتابعين ، وما نعرف إلا هذا التفسير للوحى الكريم[1] .

وسئل عن قوله تعالى ﴿ **لا فيها غول** ﴾ قال ليس فيها نتن ولا كراهية كخمر الدنيا ، أما سمعتم قول امرئ القيس :

رب كأس شربت لا غول فيها وسقيت النـديم منها مزاجا[2]

قال أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ **فيطمع الذى فى قلبه مرض** ﴾ قال : الفجور والزنا . قال وهل تعرف العرب ذلك ، قال ، أما سمعت قول الأعشى :

حافظ للفرج راض بالتقى ليس ممن قلبه فيه مرض[3]

قال أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ **أغنى وأقنى** ﴾ قال أغنى من الفقر وأقنى من الغنى ، أما سمعت قول عنترة العبسى :

فاقنى حياءك لا أبا لك واعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل[4]

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ **لتنوء بالعصبة** ﴾ قال : (لتثقل) أما سمعت قول امرئ القيس :

تمشى فتثقلهـا عجيزتهما مشى الضعيف ينوء بالوسق[5]

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث للشيخ محمد الغزالى ، ص١٢٦ ، دار الشروق ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م الأولى .

(٢) الإتقان ١/ ٢١٠ مطابع دار الشعب ، القاهرة . (٣) ذاته .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١/ ٢٢٤ . (٥) ذاته ، ص٢٢٥ .

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ **جابوا الصخر** ﴾ قال : نقبوا الحجارة فى الجبال فاتخذوها بيوتًا ، أما سمعت قول أمية[1] :

وشق أبصارنا كيما نعيش بها وجاب للسمع أصماخًا وآذانًا

إلى غير ذلك من المسائل التى يعج بها الكتاب فراجعه إن شئت .

وزاد من الاهتمام بالرواية ، تدوين الدواوين فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حيث دفعهم التدوين إلى معرفة الأنساب ، لما لها من الأهمية فى رواتب الفاتحين ، وكان النسابون من أمثال : (عقيل بن أبى طالب) و (مخرمة بن نوفل) يستشهدون بالشعر فى تحديد الأنساب يقول الجاحظ : وكان عقيل بن أبى طالب نسابًا عالمًا بالأمهات بين اللسان سديد الجواب لا يقوم له أحد[2] .

كما زاد من أهمية الرواية أيضًا اشتعال الحرب ، واندلاع نار العداوة بين على ومعاوية ، واستمر ذلك إلى نهاية العصر الأموى ، فالعصبيات القبلية دفعت كل قبيلة إلى الاهتمام بالرواية ، أى رواية الشعر الجاهلى لتعرف الأحساب والوقوف على الأنساب ، لتقوم بالرد على خصومها بما يسجله ذلك الشعر من مآثر خالدات لهم ، وذكر مثالب ومعايب خصومهم . فكان ذلك من بين الأسباب التى أدت إلى العناية برواية الشعر الجاهلى حتى عصر التدوين .

وفى العصر الأموى توافرت للرواية أسباب الرعاية والعناية وأتيح لهذا التراث الجاهلى من يتلقفه ويحفظه ، فقد كان الملوك والخلفاء من أمثال (معاوية) و(عبد الملك ابن مروان) يعنون أشد العناية بالشعر والشعراء حتى إنهم كانوا يسألون وفود القبائل عن بعض شعرائها ، وقد يرصدون الجوائز لمن يدلهم على صاحب بيت أو قصيدة ، وقد يختلفون فى بيت من الشعر فيكتبون فيه البريد إلى العراق ، يسألون العلماء على حقيقته وصحته[3] .

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١/ ٢٢٦ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٢٢ ط الخامسة - الخانجى ت هارون .

(٣) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف بتصرف .

ثم إنهم كانوا يتخذون لأبنائهم المؤدبين الذين يعلمونهم أشعار الجاهلية وأيامها وأخبارها .

وكانت هناك طائفة القصاص الذين يعظون بالمساجد وكثيراً ما كانوا يستشهدون بأشعار الجاهليين فى قصصهم .

ولم يكن ثمة شاعر مبرز فى هذا العصر إلا وهو يروى للجاهليين فقد عنى الشعراء برواية الشعر القديم ، حتى أخذ العلماء عنهم الكثير ومنهم (ذو الرمة ، والفرزدق ، وجرير ، ورؤبة)[1] .

كما نشأت فى هذا العصر طائفة أخرى من الرواة لم تكن من الشعراء وكان همها ترويج الشعر ونشره وإذاعته فى الناس ، وبعضهم كان يختص برواية شعر عصره ، ومنهم من يتخصص فى رواية الشعر الجاهلى .

فلما كان العصر العباسى نشأ من العرب والموالى والقراء وغيرهم رواة تخصصوا فيها واحتشدوا لها ، واهتموا بها حتى أصبحت عملاً أساسيًا لهؤلاء الرواة ، وقد ساعد على الاهتمام بها الاعتماد على الشعر الجاهلى ، والاستشهاد به فى تفسير ألفاظ القرآن الكريم ووضع قواعد اللغة العربية وجمع ألفاظها[2] ، وكان هؤلاء الرواة يمثلون مدرستين كبيرتين ، هما :

أولاً : مدرسة البصرة :

وكان زعيمها وإمامها (أبو عمرو بن العلاء) المتوفى سنة أربع وخمسين ومائة[3] وقد بلغت عنايته بالشعر الجاهلى مبلغًا كبيراً حتى قال الأصمعى : (جلست إلى أبى عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامى) قال : وقال مرة : (لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته يعنى شعر جرير ، والفرزدق وأشباههما ، وكان أبو عمرو أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن ، والشعر ، وبأيام العرب وأيام الناس)[4] .

(١) البيان والتبيين للجاحظ . (٢) من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى د/ سعد ظلام ، ص٤٨ .
(٣) مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية د/ ناصر الدين الأسد ، ص٥٥ ط دار المعارف بالقاهرة .
(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٢١ تحقيق الطبعة الخامسة - الخانجى ، القاهرة .

كما كانت عناية (أبى عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان) بالكتابة والتدوين لا تقل شأوًا عن عنايته بالرواية والحفظ ، فقد كان يرسل إلى (الحارث بن خالد) الشاعر الغزل أخاه (معاذ بن العلاء) ومعه كتاب فيه مسائل يسأله عنها[١] ، وكان كذلك يكتب إلى (عكرمة بن خلد) وهو محدث جليل من التابعين وهو أخو الحارث الشاعر يسأله كما يسأل أخاه[٢] وقال (شعبة) كنت أجتمع أنا وأبو عمرو بن العلاء عند أبى نوفل ابن أبى عقرب ، فاسأله عن الحديث خاصة ، ويسأله (أبو عمرو) عن الشعر واللغة خاصة فلا أكتب شيئًا مما يسأله عنه أبو عمرو ، ولا يكتب أبو عمرو شيئًا مما أسأله أنا عنه[٣] ، وكأنه بفطرته هدى للتخصص فى هذا الفن مفضلاً إياه عما سواه من الفنون ، وبلغ من شغفه بالتدوين أن الجاحظ يحدثنا عن ذلك فيقول :

وكانت كتبه التى كتب عن العرب الفصحاء وقد ملأت بيتًا له إلى قريب من السقف ، ثم إنه تقرأ فأحرقها كلها ، فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه ، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية[٤] وفى أبى عمرو ابن العلاء ، يقول الفرزدق :

ما زلت أفتح أبوابًا وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار[٥]

فإذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه مثل هذا القول ، فهو الذى لا يشك فى خطابته وبلاغته[٦] ونحن لا ندرى بعد تلك المقولة ، وشهادة (الفرزدق) سببًا لفعلته هذه وهى إحراق كتبه التى كتبها عن العرب الفصحاء مع ورود الأخبار بنهمه وشرهه وسرفه ، وحبه للتدوين والرواية وأنه أعلم الناس بالغريب والعربية والقرآن والشعر وبأيام العرب والناس ، فكيف يصنع ذلك الصنيع وهو يتبوأ

---

(١) الأغانى ٣/ ٣١٢ .

(٢) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ورقة ٢٤ ، ومصادر الشعر الجاهلى ، ص١٥٦ .

(٣) المزهر للسيوطى ٢/ ٣٠٤ .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٢١ تحقيق هارون .

(٥) ذاته . (٦) ذاته .

تلك المكانة المرموقة السامقة ، بيد أننا نرجح أن أبا عمرو بن العلاء عَنّ له فى مؤلفاته بعض الأخطاء التى وقع فيها ، أو على الأقل لم يكن ثبتًا أو واثقًا من صحتها ، لذا أعدمها بغية النظر فيها وفى معاودة ما كتبه مصححًا ما وقع فيها من خطأ ، ولكن الزمن لم يسعفه ولم تتهيأ له الظروف المناسبة لتدوينها مرة ثانية ، وبخاصة أنه لم يجد لديه سوى ما وعاه منها بقلبه ، وهذا غير كاف فى إعادة التدوين ، والتصنيف والتأليف .

والدليل على صحة وصدق ما ذهبنا إليه قول الأصمعى :

« فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه »[1] .

كما أننا نرى أن تنسكه لا يمكن أن يكون دافعًا له لإحراق مثل هذه النفائس التى تسجل أخبار العرب ، وأشعارهم ، وكيف يكون ذلك وهو عالم بالغريب والعربية والقرآن والشعر بأيام العرب وأيام الناس ؟! كما أن النسك والزهادة والتبتل إلى الله مدعاة للحرص على هذه الكنوز ، وتلك الذخائر ليفيد الناس منها ، ولا يمكن أن يكون تنسكه دافعًا لإحراقها كما أومأنا إلى ذلك آنفًا . وقد كان حريًا به أن يبقى على هذه الكنوز ، وتلك النفائس ثم يعيد كتابتها مرة أخرى مستدركًا ومصححًا ما وقع فيها من أخطاء ، وما ورد بين دفاتها من أخبار ومعلومات هو عنها غير راض .

ثانيًا : مدرسة الكوفة :

وزعيمها (حماد الراوية) ولكن البصرة كانت أوثق رواية من الكوفة التى اشتهرت بالوضع والنحل حتى تضخمت رواياتها ودخلها الكثير من المصنوع[2] .

ويقول أبو الطيب اللغوى (والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله ، وذلك بين فى دواوينهم[3] .

ويقول الدكتور شوقى ضيف (وربما كان السبب الحقيقى فى تقدم البصرة على الكوفة فى الرواية أن رأس رواتها وهو أبو عمرو ابن العلاء كان أمينًا ، بينما كان رأس

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٢١ تحقيق هارون .

(٢) من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى أ. د. سعد ظلام .

(٣) مراتب النحويين ، ص٧٤ ومن الظواهر الفنية ، ص٤٨ والعصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ، ص١٤٩ .

رواة الكوفة (حمادًا) وكان متهمًا كثير الوضع لا يوثق بما يرويه ، وكان أبو عمرو من مؤسسى المدرسة النحوية فى البصرة وأحد القراء السبعة الذين أخذت عنهم تلاوة الذكر الحكيم)[1] .

ونحن نؤيد هذا التعليل وذلك السبب فبون شاسع وفرق كبير بين راويتين أحدهما لص متهم ، والآخر عالم مؤتمن ويكفيه فخرًا وحسبنا ثقة فيه أنه أحد القراء السبعة المأخوذ عنهم فى تلاوة الذكر الحكيم .

وكانت لدى (حماد) كتب بعضها كتبه بنفسه ، وأخرى كتب من قبله فقرأه وأفاد منه فى تدوينه لكتبه ، يقول حماد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إلىَّ بمائتى دينار وأمر يوسف بن عمر بحملى إليه على البريد ، قال فقلت : لا يسألنى إلا عن طرفيه : قريش وثقيف فنظرت فى كتابى قريش وثقيف فلما قدمت عليه سألنى عن أشعار (بلى) فأنشدتع منها ما استحسنه ، ثم قال : أنشدنى فى الشراب وعنده وجوه من أهل الشام فأنشدته[2] .

وقد كان أمر كتب (حماد) المشتملة على شعر الجاهلية معروفًا مشهورًا حتى أن (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) حين أراد أن يجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها استعار من (حماد) ومن (جناد بن واصل) الكوفى ما عندهما من الكتب والدواوين ، فدونها عنده ثم رد إليهما كتبهما[3] .

ويقول ابن النديم عن (جناد بن واصل الكوفى هو أبو محمد جناد بن واصل الكوفى مولى بنى أسد ، وقيل يُكنى بأبى واصل ولم يكن له علم بالنحو إلا أنه كان أعلم الناس بأشعار العرب وأيامها)[4] .

---

(١) مراتب النحويين ، ص٧٤ ومن الظواهر الفنية ، ص٤٨ والعصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ، ص١٤٩ . أبو عمرو بن العلاء ولد سنة ٣٠هـ وتوفى سنة ١٥٤ وقيل ١٥٩ .

(٢) الأغانى ١/ ٩٤ . (٣) الفهرسن لابن النديم ص ١٣٤ .

(٤) الفهرست لابن النديم ص ١٠٤ تحقيق وضا - تجدد المقالة الثالثة الفن الأول .

ويروى لنا صاحب الأغانى قائلاً : إن حماداً كان فى أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ، فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار فقرأه (حماد) فاستحلاه وحفظه ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ما كان عليه فبلغ فى العلم ما بلغ[١] .

ومن العجيب والغريب أننا نرى (ابن النديم) يقول عن (حماد) ولم نر لحماد كتابًا ، وإنما روى عنه الناس وصنعت الكتب بعد[٢] .

بيد أنه يقرر أن حماداً كان عالمًا بالشعر فيقول : « وكان راوية للأخبار والأشعار والأنساب فى أيام الوليد بن عبد الملك »[٣] ولعل ابن النديم لم يصل إلى يديه شىء مما كتبه (حماد) أثناء كتابته لهذه المقولة وتلك الترجمة . لكن أبا حاتم السجستانى قد رأى بعض كتب (حماد) فى الشعر الجاهلى وكان يرجع إليها ويثبت ما يجده فيها زائداً على ما جمع من الشعر ، وإن كان نص على أن هذه الزيادات هى من الشعر المصنوع[٤] .

ولم يكن الوليد بن بزيد والذى جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها من كعب (حماد وجناد) هو وحده الذى بذل مثل هذه العناية ، بل كان من سبقه إلى ذلك من خلفاء بنى أمية يفعلون كما فعل ، فقد كان للوليد بن عبد الملك كاتب خاص نصبه لكتابة المصاحف والشعر والأخبار وهو : (خالد بن الهياج)[٥] .

وقد ذكر ابن النديم خالداً هذا فى موضع آخر فى كتابه (الفهرست) وقال عنه إنه صاحب على رضى الله عنه ، ولعله هو بعينه (خالد بن الهياج) وعاش حتى زمن الوليد ابن عبد الملك ، ثم كتب له[٦] .

---

(١) الأغانى ٥/ ٨٧ .

(٢) الفهرست ص ١٠٤ ت رضا نجد .

(٣) ذاته .

(٤) مختارات ابن الشجرى ص ١٢٣ وما بعدها بتصرف .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٩ ، ١٠ .

(٦) ذاته ص ٦١ .

وكان (عبد الملك بن مروان) يعنى بأخبار العرب وأشعارها ، وفعل فيها ما فعل بالتفسير . وروى (أن بعض أمراء بنى أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسماها المعلقات)[1] وقد كان (معاوية بن أبى سفيان) يستمر إلى ثلث الليل فى أخبار العرب وأيامها ، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسير ملوك الأمم وحزوبها ومكايدها وسياياتها وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ، ثم يتناول بعض الطرف من الحلوى والمآكل اللطيفة . ثم ينام ثلث الليل . ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها[2] .

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لأبى عبد القادر بن عمر البغدادى ١/ ١٢٧ تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط الثانية ١٩٧٩م .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ٣/ ٤٠ ، ٤١ دار المعرفة - لبنان .